

السياسية. فالقضايا الكبيرة تحتاج الى جمهور منظم لمتابعها، والا تكون إثارها كالعاب بالنار.

الملاحظة والبحث الميدانيان بيّنا أن من الصعب، وقد يكون مستحيلاً، أن يُجمع عدد من المنظمات غير الحكومية النسائية لتعمل معاً على تحقيق هدف مشترك (وهو أقل ما يشترط للتعريف «النساء المتحركات»). يبدو أن بنية المنظمات غير الحكومية تخلق ممثلات ذوات سلطات متوازية قائمة على شهرتهن في الاوساط الدولية، وسهولة اتصالاتهن بشخصيات وطنية ودولية هامة. إلا أن هذه الشهرة الدولية لا تعني بالضرورة شهرة أو شرعية على النطاق المحلي أو الوطني. وهذا يخلق ديناميكية تنافسية بين رئيسات المنظمات غير الحكومية مما يجعل من الصعب التنازل أو الاتفاق على أهداف مشتركة، بما أن التي تتنازل قد تعتبر الاضعف بين من يساويها في السلطة. التنسيق أسهل بين منظمات غير حكومية ذات أهداف متشابهة، ولكنه صعب التحقيق مع منظمات نسائية مختلفة اختلاف جمعيات خيرية ومنظمات «قاعدية». قائدات المنظمات غير الحكومية اللواتي يمكنهن مستوى تعليمهن العالي ومهاراتهن المهنية واتقانهن لغة التنمية الدولية يملن الى التعالي على الأخريات.

تؤيد هذه الملاحظات دراسات حول المنظمات غير الحكومية في بلاد اخرى من العالم الثالث. كما ذكر أنفاً، فان مؤيدي مقارنة «من تحت الى فوق» يقولون أن تنظيم الضغط الشعبي والاشترك «من تحت» شرطان مسبقان ضروريان للتغيير السياسي والتقدم الاقتصادي. كذلك يشكون كثيراً في قدرة ورغبة أي نظام سياسي بأن يصلح نفسه فعلاً. في مثل هذه الظروف قد تكون مقارنة «من فوق الى تحت» عديمة التأثير بما أن على الممولين الرسميين أن يتعاملوا مع حكومات البلاد التي تتلقى التمويل. ولكن في مثل هذه الظروف قد تخفق أيضاً مقارنة «من تحت الى فوق»، ولكن لاسباب مختلفة.

قدرة المنظمات غير الحكومية على رعاية تطويرات مشتركة فوق مستوى قاعدي قدرة ضئيلة؛ حتى على هذا المستوى يشك في قدرتها على إحداث تغيير، بما أن المشاريع مؤقتة. إن نشاطات المنظمات غير الحكومية تنصب عادة على مشاريع معينة، والتنسيق ضئيل بين منظمات غير حكومية ذات اهداف مختلفة؛ ومن المشكوك فيه أن يستفيد منها من خارج المجموعات المستهدفة. وعلى أية حال فإن تمكين «من تحت» من لا امكانية له عملية تستغرق وقتاً طويلاً. وأهم من ذلك كله، من السذاجة أن نفترض أن تطوير المشاركة على مستوى قاعدي يمكن تعزيزه بشكل ملموس في بلاد نامية من المعروف أن حكوماتها ترفض إطلاقاً إصلاح الأنظمة السياسية والاقتصادية. إن لم تكن الحكومات مستعدة للإصلاح ستقمع

تطويرات المشاركة حيثما ظهرت وبمجرد أن تهدد هذه التطويرات بتقويض أسس سلطة النخب الحاكمة. أن تجارب المنظمات غير الحكومية في بلدان مختلفة تقدم براهين دامغة على ذلك. فمن الواضح أن المقاربة «من تحت إلى فوق» تتوقف على إتخاذ السلطات الحكومية إجراءات تساندها (نونينكامب ١٩٩٥:١٤-١٥).

ولا بد من التساؤل هنا: هل الحكومات العربية مستعدة لإدخال الاصلاحات؟ هل تعمل على اصلاح نفسها؟ ما يأتيها من العراق ومصر وفلسطين والسعودية وغيرها من البلاد العربية يشهد بأنها غير مستعدة لإجراء الاصلاح وبأنها لا تعمل على اصلاح نفسها. وجود زوجات الرؤساء والحكام، الأميرات أو النساء البارزات في بعض المنظمات غير الحكومية لا يمكن ترجمته على أنه رغبة بالاصلاح، بل يعني بالأحرى أن حقوق النساء ومطالبتهن تعتبر غير متعلقة بالسياسة، ولا تهدد سياسياً، بما أنها لا تمس الاسس السياسية والاقتصادية والاجتماعية للنظم العربية.

حاولت أن أبين في هذه المقالة أن الدور الذي تنسبه وكالات الامم المتحدة ومنظمات التنمية الدولية إلى المنظمات النسائية العربية غير الحكومية على أنها وسيلة للدمقرطة ولتطوير قائم على المشاركة، دور يجب إعادة تقييمه بناء على دراسات ميدانية، وان لا يُستند إلى أساس ثقافي يعيد التقسيم القديم بين الغرب في مقابل الشرق، أو المحلي في مقابل المغرب. المنظمات النسائية العربية غير الحكومية قد تستطيع باشكالها وبنائها الحالية أن تلعب دوراً في الدفاع عن حقوق العرب على الساحة الدولية، أن تقدم الخدمات الى مجموعات معينة محتاجة، ان تقترح سياسات وروى جديدة، وان تولد وتنشر معلومات ضرورية. ولكن لكي تحقق تنمية وديموقراطية شاملتين ومستمرتين وثابنتين لا بد من شكل تنظيمي آخر برؤيا مختلفة ذات أسس محلية.

المراجع

١. في خضم نقاش جرى مؤخراً في مصر حول الخلع سُئلت ناشطة نسوية بارزة هل يشترك مركزها في هذا النقاش. أجابت: «اننا لا نبحث في مثل هذه المشاريع».

المراجع

- Abu-Lughod, Lila (1998) *Remaking Women-Feminism and Modernity in the Middle East*, Princeton University Press, Princeton.
- Ahmad, Leila (1994) *Women and Gender in Islam*, New Haven, London: Yale University Press.
- Al-Ali, Nadjé Sadig (1998) "Standing on Shifting Ground: Women's Activism in Contemporary Egypt", PHD dissertation, Department of Anthropology, School of Oriental and African Studies, University of London.
- Badran, Margot (1995) *Feminists, Islam and Nation: Gender and the Making of Modern Egypt*, Princeton University Press, Princeton.
- بيضون، عزة شرارة، (٢٠٠٢) نساء وجمعيات: لبنانيات بين انصاف الذات وخدمة الغير، دار النهار، بيروت.
- بشارة، ا. (١٩٩٦) مساهمة في نقد المجتمع المدني، مواطن - المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديموقراطية، رام الله، الضفة الغربية.
- الجزري، دلال (١٩٩٨) «منهج المقاربات واساليبها» في الجزري وبيضون (محررات) العمل الاجتماعي والمرأة: قراءات في الدراسات العربية واللبنانية، الجزء الاول، تجمع البحوث اللبنانية، دار الجديد.
- Borner, S. , Brunetti, A. and Weden, B. (1993) "Political credibility and economic growth", mimeo, Basel, December.
- Beumberg, D. (1995) "Authoritarian legacies and reform strategies in the Arab World" in (eds) Brynen, R. and Korany, B. and Noble, P. *Political Liberalisation and Democratisation in the Arab World*, London: Lynne Rienner Publishers.
- CAWTAR (2001) *Arab Women's Development Report: Globalization and Gender: Economic Participation of Arab Women*, Center of Arab Women for Training and Research (CAWTAR), UNDP, AGFUND, Tunis.
- Hanafi, Sari and Linda Tabar, "NGOs, Elite Formation and the Second Intifada" in *Between the Lines*, October 2002, vol.II no, 18, Jerusalem, www.between-lines.org
- Jackson, Cecile and Pearson, R. (eds) (1998) *Feminist Visions of Development: Gender Analysis and Policy*, Routledge, London and New York.
- جاد، اصلاح، (٢٠٠٠) المرأة الفلسطينية - الوضع الراهن: المرأة والسياسة، معهد دراسات المرأة، جامعة بيرزيت، رام الله، فلسطين.

- Kean, J.(1988), *Democracy and Civil Society*, London and New York, Verso.
- Ladau, ernesto and Chantal Mouffe (1985) *Hegemony and Socialist Strategy, Towards a Radical Democratic Politics*, London, Verso.
- Lancaster, Carol (1995) *IDS bulletin* vol.25 no. 2, 1995.
- Lazreg, Marnia (1994), *The Eloquence of Silence: Algerian Women in Question*, New York, Routledge.
- Markovitz, Irving (1998) "Uncivil Society, Capitalism and the State in Africa", *The Journal of Commonwealth and Comparative Politics*, 21, (2).
- Melucci, A. (1985) "The Symbolic Challenge of Contemporary Social Movements", *Social Research*, 52 (4):789-816.
- Molyneux, Maxine (1991) "The Law, the State and Socialist Policies with Regard to Women: the Case of the People's Democratic Republic of Yemen 1967-1990" in Kandyioti, D. (ed) *Women, Islam and the State*, Macmillan Press.
- Molyneux, M. (1996) "Women's rights and the International Context in the Post-Communist States" in M.Threlfall (ed.) *Mapping the Women's Movement: Feminist Politics and Social Transformation in the North*, London: Verso.
- Molyneux, Maxine (1998) "Analysing women's movements" in (eds.) Jackson, Cecile and Pearson R. *Feminist Visions of Development: Gender Analysis and Policy*, Routledge: London/New York.
- News from Democracy Egypt: US, EU and Democracy Promotion in the Arab World, Fri, Nov. 22, 2002.
- Ninnenkamp, Peter, *IDS bulletin* vol. 26, no 2, 1995: pp 14-15.
- Omvedt, G. (1994) "Peasant, Dalits and Women: Democracy and India's New Social Movements" in *Journal of Contemporary Asia*, 24 (1): 35-48.
- Qassoum, Mufid (2002) "Imperial Agendas, 'Civil Society' and Global Manipulation Intifada" *Between the Lines*, December 2002 vol.III, no.19, Jerusalem www.between-lines.org
- robinson, Mark (1995) *IDS bulletin* vol. 26, no. 2.
- Rowbotham, Sheila (1992) *Women in Movement: Feminism and Social Action*. Routledge, New York and London.
- الشلبي، ياسر (٢٠٠١) التأثيرات الدولية والمحلية على تحديد رؤى المنظمات غير الحكومية الفلسطينية وادوارها، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بيرزيت، رام الله، فلسطين.
- Slevin, Peter (2002) "Preparing for Democracy: State Dept. Connects Arab Women, Political Consultants" *Washington Post Staff Writer*, washingtonpost.com., Monday, November 4, p. A03.
- Tarrow, Sidney (1994) *Power in Movement-Social Movements, Collective Action and Politics*, Cambridge University Press.
- World Bank (1992) *Governance and Development*, Washington, DC.
- زعيتر، أكرم (١٩٨٠) الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٢٥-١٩٣٩، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.